كتابمن الذاكرة3 Featured

طلال سلمان.. هكذا دخلتُ إلى بيروت (1)

طلال سلمان11/09/2025

ليست هذه الصفحات سيرة حياة، وإن كانت بعضها. كذلك، هي لا تطمح لأن تكون تأريخاً للصحافة في لبنان، وإن كانت تصبّ في سياقها العام. إنها بعضٌ من حكاية فتى لم يكن يملك أن يختار قدره، لكنه استطاع أن يصمد في امتحان الجدارة. هي خطوات على الطريق إلى الصحافة التي تكون شهادة للوطن بقدر ما تكون شهادة على نظامه الفاسد المُفسد.

بداية، أقر وأعترف بأنني واحد من متخرجي بيروت عاصمة العروبة، دعوةً وفكراً واجتهاداً، ومنبرها ومركز إشعاعها، أميرة الحزن العربي، المتلألئة بأنوار الثقافة والعلم، وطليعة الصحافة والإعلام العربي، والتي تجتهد لتعويض الغياب المفجع للقاهرة وبغداد وعواصم أخرى كثيرة.

من أمام صرح المقاصد عند الحرج وحتى ساحة الشهداء، كنا نمشي إلى فلسطين، وكنا نمشي ضد الاحتلال، فرنسياً أم بريطانياً أم مشتركاً، كما في العدوان الثلاثي على مصر في خريف 1956، الذي انتهى بنصر للعروبة جميعاً ممثلة بمصر جمال عبد الناصر وشعبها العظيم.

لقد تلقيت من العلم قليلاً في بعض مدارس بيروت، لكنني قبست شيئاً من روح بيروت، هو مصدر ثروتي واعتزازي.

كنا نمشي إلى الوحدة التي رأيناها، وما زلنا نراها، الطريق إلى فلسطين، تحت قيادة جمال عبد الناصر، ثم الثورة الفلسطينية حتى غادرتنا ولم نغادرها قضية مقدسة لأرض مقدسة تختزن روح الأمة.

كنا نخترق الشوارع حاملة أسماء الشهداء حتى نتلاقى مع الوافدين من جهات أخرى أنبتت شهداء زماننا، ولا سيما في جنوب النصر في الساحة التي كانت حناياها تتسع لكل لبنان، والتي يدوي فيها الآن الفراغ، بينما يتناهب أسواقها أصحاب المال وقد طردوا أهلها والمنتمين اليها بقرار واع، مثلي، إلى البعيد، لتخلص لتجارتهم وليستقبلوا فيها السياح وطلاب المتعة والمترفين بمال لم يتعبوا في تحصيله.

ولقد حوّمت من حول بيروت طويلاً قبل أن يتسنى لي دخول نعيمها في رحلة نصفها مشياً على الأقدام، من جديدة المتن إلى الدورة، ونصفها الآخر متنقلاً بين ترامواي وآخر، طلباً لتبديل الجو.. و«البرستبور» الذي كان يجبي 5 قروش كاملة عن الرحلة.

من بيت إلى بيت



بعدها فرضت نفسي ضيفاً غير ثقيل على صهري زوج عمتي في شارع مارون مسك في الشياح، حيث كنت أستعرض أحصنة السباق في اسطبلاتها المؤقتة وسط حدائق البرتقال والأكي دنيا، قبل أن تخلي مكانها لتجار الأراضي ومتعهدي البنايات التي تنجز في شهور ويدخلها مستأجرون كمغامرين بحياة أطفالهم، والله ولي أمر المؤمنين و«ابن تسعة لا يموت ابن سبعة» و«اللي انكتب على الجبين لازم تشوفو العين».

وعندما انتبهت إلى أنني قد غدوت ضيفاً ثقيلاً ادعيت أنني قد عثرت على غرفة لا يحتاج اليها أحد في جريدة «الشرق» التي عملت فيها لفترة تدريب، مجاناً... ومن أين لعمتي أن تعرف أن الجريدة كلها غرفة، وأنني سأذهب إلى برج حمود لأسكن في غرفة مفروشة عند عائلة شمالية تريد التخفف من شعورها بالأقلية وسط الإخوان الأرمن.

لكن الضيافة لم تطل، لأنني تعرفت ـ مصادفة ـ الى صاحب مجلة «الحوادث» الزميل الراحل سليم اللوزي موقوفاً في سجن مستشفى الكرنتينا الذي كان «حاكمه العسكري» والدي الرقيب في الدرك إبراهيم سلمان... وكان سلام، وكان كلام، وكان تعاطف، وكان أن انتقلت إلى مجلة «الحوادث» في مكتبها، خلف قصر هنري فرعون، وغير بعيد عن قصر القنطاري الذي كان المقر الرئاسي لرئيس الجمهورية كميل شمعون... وقد أخرجته منه ثورة 1958 المعززة بالوحدة ممثلة في الجمهورية العربية المتحدة، التي قتلها الخطأ وهي تحبو، بعد.

قال لي نيازي جلول، رسّام الكاريكاتير الممتاز الذي يتحدث العربية كالأرمنية، إنه عثر على بيت رخيص بين النبعة وبرج حمود، وإنه بوسعنا أن نشترك في السكن متقاسمين الإيجار. كنا كل يوم نضيع عنه، فنعود إلى خط السكة الحديد ونستعين بأعمدة الكهرباء التي اتخذنا منها علامات فارقة، فإذا ما بلغنا دكانة الحاجة زنوب كان بيتنا الأول إلى اليمين.

بعد شهر واحد من محاولة إنشاء صداقة ثابتة مع هذا البيت، تدخل شمسطاري أصيل كانت لعمه بناية فخمة قريبة لها مداخل شتى، بعضها عبر الحبال، وبعضها من باب إلى باب، فأجّرنا شقة سرعان ما اكتشفنا أن شركاءنا فيها كثرة، فهربنا لا نلوي على شيء وقد سامحناهم بالفرش (بضم الفاء)!

بعدها عدت إلى مارون مسك مستأجراً هذه المرة؛ أدخل غرفتي، التي صارت مضافة لأهل قضاء بعلبك، مرفوع الرأس.

راتبينا معاً، ونتدبر أمر الفرش.

ولشهرين كاملين كان الفرش عبارة عن فراش في الصالون، وسرير استعرته من المرحوم الزميل أسعد المقدم، وبعض الكتب والمجلات المرصوفة على ما يفترض أن يكون البار أو المطبخ الحديث.

ضيف شرف على «فنادق» العسس



بعدها سأنتقل من مجلة «الحوادث» إلى مجلة «الأحد» لصاحبها الراحل رياض طه، وسأوفق بشقة في حي السريان في المصيطبة، وتجيء أختي إليها لترتيبها غير مدركة أي مفاجأة ممتعة تنتظرها. فذات ليلة صيف، من أواسط آب/أغسطس 1961، حظينا بزيارة ودية عند الثالثة فجراً قوامها ثلاثة عمالقة من موظفي الأمن العام، رئيسهم مصارع متقاعد، بذريعة أنني احتفظ عندي بأوراق تخص ممثل جبهة التحرير الوطني الجزائرية، أحمد الصغير جابر، الذي كان واحداً من أذكى من عرفت، والذي كان جيشاً إعلامياً في فرد... وكان ذنبي أنني صديقه.

سيكون لي بعد الزيارة شرف النـزول في غرفة مستقلة في المديرية العامة للأمن العام، وكانت آنذاك في التباريز، أثاثها عبارة عن كرسي واحد، طلب إليّ أن أنام فوقه، وقد رُبط قيدي به. ومع الصباح جاء من ينصحني بأن أقول الحقيقة له بالذات «لأنه مسلم، وليس كغيره من الكفار»، مع وعد بالتبرئة!

سكنت في تلك الغرفة تسع ليال، أحياناً مع رفيق سجن وأحياناً مع ثلاثة. حتى صدر الأمر بنقلنا إلى شقة لا نظير لها في فخامتها وأناقتها واتساعها ونظافتها، هي نظارة المحكمة العسكرية في شارع فؤاد الأول.

وكان الطلب على الشقة شديداً، حتى أن مسؤوليها كانوا يستضيفون في بعض الليالي حوالى أربعين مواطناً، بتهم مختلفة: حمل سلاح غير مرخص، ملاسنة مع رجل أمن، تخابر مع العدو، المشاركة في تظاهرة من أجل فلسطين بغير ترخيص، الانتماء إلى تنظيم فلسطيني يقول بالثورة، اطلاق النار ليلاً على ثعلب كان يلتهم عنب الكرم... الخ. وكان أيضاً بيننا قائد نقابي هو المرحوم فؤاد نصر الدين. ولأن فؤاد متخرج من سجون ومعتقلات بوصفه «تقدمياً مشاغباً»، فقد وجد نفسه مضطراً الى القيام بدور رئيس المحكمة، لتدريب الموقوفين على الأجوبة التي لا تورطهم إذا ما اعتمدوا على سذاجة البراءة.

كان للشقة الفخمة حمام أنيق في الزاوية، وليس من ستارة تحمي من عيون الفضوليين المتطفلين على الأسرار الشخصية التي لا بد من أن تتكشف لسبعين عيناً أو يزيد، وواحدنا يحاول أن يتستر في قضاء حاجته.

مع الذبابة في زنزانة



بعد ذلك، أتيح لي أن أسكن في جو هادئ لا يعكر صفوه إلا ذبابة تائهة.

فقد نُقلنا إلى سجن الرمل (الطريق الجديدة)، ولما كان لي موقعي الخطير في العصابة الجزائرية التي ستقلب الدنيا العربية رأساً على عقب، فقد أُقطعت زنزانة لا يدخلها الضوء من نافذة وهمية إلا ساعة أو ساعتين، ولا أغادرها إلى النـزهة إلا لنصف ساعة مرتين يومياً، قبل الظهر مرة، وبعده مرة ثانية.

ثم جاء الإفراج الأول، وتمثل بإخراجي من الزنزانة الإنفرادية كي أقيم وسط الشعب في القاووش الذي كان شاويشه من الأخوة الأرمن يسانده بعض قومه. وفي الليلة الأولى، شهدنا واحدة من معارك الترف: سجين جائع تسلل ليسرق بعض الخبز من كيس سجين آخر، فانتبه إليه، وكان لا بد من أن يُرفع الأمر إلى الشاويش الذي عقد محكمة أمرت بجلد الجائع السارق عشر جلدات. لكن المروءة هزت بعض السجناء فتدخلوا لتخفيف الحكم، فانقلب التدخل الى حرب عرقية بين العرب والأرمن جاءت برجال الدرك مهرولين لفض الاشتباك قبل أن يتحول الى حرب أهلية في الخارج.

ومع الأسف، فقد طُردت من جنة سجن الرمل بعد عشرين يوماً بصك يعلن براءتي من التهم الفظيعة التي كنت مستعداً لقبولها لو أنني مؤهل لها: إعداد انقلابات في البلاد العربية، تهريب أسلحة عبر الحدود، تزوير هويات، وتزوير عملة.

وحين سألت القاضي، وهو برتبة «زعيم» التي تعادل «العميد» الآن، نهرني قائلاً: اشكر ربك يا ابني، وانصرف.. قبل أن تغير المحكمة رأيها!

(*) يُنشر هذا النص لمناسبة مرور الذكرى الثانية لرحيل صاحب "القلم الأخضر" الصحافي والكاتب العربي طلال سلمان.



[طلال سلمان]
رئيس تحرير جريدة السفير

- [أحمد الصغير جابر]
- [اسعد المقدم]
- [الأحد]
- [الأمن العام]
- [الحوادث]
- [الصحافة العربية]
- [الصحافة اللبنانية]
- [الوطن العربي]
- [بيروت]

- جريدة الشرق
- حبس الرمل
- سليم اللوزي
- طلال سلمان
- طلال سلمان يتذكر
- عبد الناصر
- فؤاد نصر الدين
- لبنان
- نيازي جلول

أخبار ذات صلة

SlideShowثقافه وفنونكتاب

24/11/2025 سعيد عيسى

روایة حسّان الزين.. طانيوس شاهين سؤالٌ أم بطلٌ؟

Featured 3كتابمن الذاكرة

20/11/2025 طلال سلمان

الفتى طلال سلمان يدخل جنة الصحافة من باب الكبار (6)

SlideShowفلسطينكتاب

13/11/2025 منى سكرية

أنطوان شلحت يُشرّح "دولة هرتزل": النكبة قائمة.. ومتجددة

- الرئيسية
- لبنان
- فلسطين
- العراق
- سوريا
- ثقافه وفنون
- تحقيق
- تحليل
- ترجمة
- تقرير
- دراسة
- رأي
- كتاب
- مقابلة

إقرأ على موقع 180 [شارون يستثمر 11 أيلول.. بتشريع الإغتيالات دولياً (102)]